بث مباشر من أورشليم

بث مباشر
من أورشليم

مجموعة قصصية

علا الجبر

المكتبة العربية
للنشر والتوزيع
Arabic Library

اسم الكتاب: بث مباشر من أورشليم
اسم الكاتب: عـــلا الجبـر
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 13166
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 85721 – 9 – 3

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

الإهـداء

إلى ما تبقى من جمال في حياتي..

أمـــــي ..

إلى ما تبقى من وفاء في حياتي..

صديقتي الدكتورة آلاء دياب.

مقدمتي

كل ما تبقى .. ظلال أمل وقلم..

نكتب لنبقى على قيد التنفس..

(بث مباشر من أورشليم) مجموعة قصصية تتراوح ما بين القصص القصيرة والقصيرة جدا، التي تحكي واقعاً عربياً سورياً بكل أبعاده الإنسانية، وبكل ما فيه من مفارقات ناتجة عن الأزمة السورية. والأزمات التي تشهدها المنطقة عامة.

وعليه فإن الواقع هو المادة الأساسية التي استقت منه هذه المجموعة أحداثها.

فالأدب ما هو إلا ما مضى وما نستقبل من أيام.. نقرأ حلوها ومرّها بين سطور الإبداع.

وشكراً.

علا الجبر

مفاهيم

رأيت فيما يرى النائم، عبد الله بن أبي بن سلول..

ملأ اسمه أرجاء أرض المحشر.. هرع مهرولاً..

لا يدري بأية يد يحمل كتابه..فاحتضنه بكلتا يديه..

جاء الصوت المزلزل:

"ماذا يابن سلول.. مع من كنت؟؟"

تلعثم ابن سلول: "كنت.. لم أكن.. لم أك.."

- "لم تكن مع أحد.. أليس كذلك؟"

هز ابن سلول رأسه موافقا..

- "لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. إنك لمنافق."

رفع ابن سلول رأسه قائلاً: "نعم لم أكن إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يا مولاي.. ولكنني لست منافقا .. بل مواطن لا فرق عنده بين محمد وأبي جهل.. أردت لقمة العيش بعيداً عن خيولهم وسيوفهم وسياطهم لا أكثر.

-"إلى جهنم يابن سلول وبئس المصير"

رجل الثلج

لم يكن موعوداً بحفلة رأس السنة..

فمنذ أن صارت الخيمة حدود وطنه باتت السنوات كلها هباء..

وإنما وعدته الأرصاد الجوية بليلة مثلجة..

حلم بالثلج.. مثل كل الأطفال..

وخبأ لرجل الثلج حكايات كثيرة ..

نادته أمه لتقيم عليه حد النوم..

وتلفعه بأغطية المعونة ..

لكنه لم يستجب ..

بقي خارجاً ينتظر الثلج بيدين مرتعشتين .. وشفتين زرقاوين تخبئ أسناناً تصطك.

وعندما تأخر الثلج وطال انتظاره..

خرجت إليه أمه لتدخله إلى غطاء المعونة..

فوجدت رجل الثلج ينتظر طفولة ضاعت من ابنها.

حقيبة ثقيلة

على طريق اللجوء..

طُلِب منهم أن يرموا حقائبهم الثقيلة في عرض البحر..

وإلا سيغرقون ..

رمى الكل حقائبهم ..

ما عداه..

تشبث بها..

فقالوا له: ارم بعضاً مما فيها على الأقل

فقال: ليس فيها إلا ذكرياتي

أجمعوا على أنها أثقل مما كانوا يتوقعون.

ارمها..

رماها.. فتشبثت به إلى قاع البحر.

منظمة إنسانية

على أعتاب منظمة إنسانية .. طال انتظاره

حتى استهلك آخر رمق ..

كان يحتفظ به من إنسانيته..

وعندها فقط..

استطاع أن يعود مواطناً ..

إلى فراشه..

على الرصيف.

مواطن

نظر إليه ملياً..

جلس قبالته .. وأطال النظر.

قال: "أنت تشبهني قليلاً.. ألا تجد ما تأكله؟

ولا أنا..

لنذهب إلى مزبلة ما.."

مد يده ليلمس شعر رأسه .. فجعله ينبح..

خاف من نباحه وقفز بعيداً..

"أنت تنبح؟؟؟

أنا لا..

سأذهب إلى المزبلة وحدي.."

دفتر الخدمة

نظر ملياً إلى هوية ودفتر خدمة العلم لأحد ركاب السيرفيس الذي يفتشه..

ثم قال بصوت مختنق..

"وحيد؟"

لم يكن ينتظر جواباً..

بل فكر في أبويه الذين لم يفكرا بمثل هذه اللحظة عندما أنجبا له أخوة..

"ماذا أفعل أنا على هذا الحاجز؟

ما قيمتي لو تعرضنا لهجوم؟

لماذا ينظرون إلي هكذا هؤلاء الركاب.. تباً .. نسيت أن أعيد الدفتر والهوية للشاب"

ولكن الشاب كان ساهماً في كلمة وحيد..

"نعم وحيد..

سامح الله والدي ..

ليتهم أنجبوا لي أخاً واحداً على الأقل.. فيأخذوني إلى الخدمة العسكرية في جوبر أو الغوطة.. أو حتى دير الزور..

فلا أعود إلا محمولاً.

فما الذي أفعله في حياتي ؟؟

ما القيمة التي تنتظرها البشرية من وجودي ؟؟.."

انتشلته من أفكاره يد العسكري تلوح له بالدفتر والهوية..

فأخذهما.. ومضى السيرفيس إلى حاجز آخر.

بث مباشر من أورشليم

وقف أمام الكاميرا ممسكاً المايكروفون..

قوّم ياقته.. وتنحنح..

تأكد من جهورية صوته..

ثم قال: ثلاثة .. اثنان.. واحد.. ابدأ..

هنا أورشليم القدس.. هنا عاصمة.. عاصمة.. ... عفواً .. عاصمة..

تداعت إلى رأسه أفكار كثيرة في لحظة واحدة.. لم يستطع إيقاف سيلها..

ارتبط لسانه.. فكر.. هل يقطع البث؟ أم ماذا؟

ما من مسعف أو منقذ للموقف المحرج..

إنها المهنة التي لطالما حلم بها.. لطالما تدرب عليها وهو صغير.. لن تنتهي أحلامه بهذه البساطة.. لابد أن ينتهي من هذه المحنة ..

هدأ قليلاً.. أغمض عينيه .. ثم فتحهما وكأنه يبدأ من جديد.. فقال:

أهلا بكم في هذا البث المباشر والحصري من أورشليم القدس عاصمة..

(يا إلهي ما الذي يحدث؟)

عذراً أعزائي المشاهدين .. سيتم قطع البث لأمر اضطراري..

(ما الذي يحدث لي؟)

أغمض عينيه.. وتجرع صوت أنفاسه..

أخرج زفيراً طويلاً .. ثم أطرق ماشياً في حارات القدس.. منصتاً لأحاديث الناس.. لتنهيداتهم.. لوقع أرجلهم على الأرض..

انحنى ليسأل الحجارة عن الهوية..

ولكنه فتح عينيه.. لا شيء يقوله ..

أربعة جدران ومرآة تحاصره بغياهب حلم سحيق.. وسرير ألقى نفسه عليه مستسلماً لبرودة المنفى.

أنيـــــن

لم يكن هناك وقت..

ما بين أنينها و الانفجار.

في مقهى صغير.. كانوا يتحادثون..

ويلعبون النرد..

عندما سمعوا..

لم يستطيعوا الهرب.. من قذيفة مباغتة.

فصاروا أشلاء..

في الوقت ..

مابين أنينها والانفجار.

برنامج انتخابي

ذات انتخاب لمنصب رئيس البلدية أحتجت إلى صوت أحدهم..

فذهبت إليه ..

وطلبت منه أن يعطيني صوته..

وككل ناخب سألني .. ماذا ستقدم؟

فبدأت أشرح له:

"أنت تعلم أنني مهندس، وأنني قادر على جعل كل ما حولك جنة، سأهتم بالحدائق، وأسوي الطرقات، وأنمي المشاريع التي ستنعش المنطقة، وإن أعطيتموني أصواتكم سأحاول جاهداً أن أكون عند حسن ظنكم وظن أهلي ووطني بي.. سأعمل لإعمار..."

"على رسلك يا باش مهندس.. أنت شاب متحمس.. وأنا أحيي فيك هذه الروح.. ولكن اعذرني.. فإن المرشح الآخر قد وعدني بأن يتواسط لابني لترقيته في العمل..

أما عن مشاريعك فأرجو من الله أن يحققها لك"

حملت مشاريعي الانتخابية ..

وعدت أدراجي..

معلناً انسحابي.

فلاش باك

وقف بشهادته المأزومة .. يتلعثم في ترديد كلمات علمه إياها أحدهم.. ليحدثني بها عن حقي كمواطنة في انتخابه..

فلاش باك:

"قم يا أيمن واشرح لي البيت الذي أمامك على السبورة.."

أطرق أيمن قليلاً .. قطرة عرق تندى من جبينه.. تلعثم بكلمة ".. قال.. قا.. قال الشـ..اعر .. أستاذ .. قال الشاعر.. ممم ."

" ماذا قال الشاعر يا أيمن؟"

همهمات ضحكات الطلاب ..

من مقعده الأخير يستطيع رؤية كل الطلاب الملتفتين إليه بضحكات ساخرة..

أطرق رأسه .. دون أن يعرف إن كان لهذا الإطراق نهاية ..

"متى سينتهي كل هذا.. ليت المدارس تموت.. ليت التعليم الإلزامي يموت"

يقول الأستاذ بحدية مشفقة:

"أيمن .. إن بقيت بهذا المستوى صدقني ستكون على هامش الحياة سيلفظك الزمن.. إن لم تكن متعلماً...

...

أمسكت ورقة الانتخاب ونظرت إلى وجهه البليد وقلت له:

"ليتك تستطيع أن تقول جملة مترابطة.. لا أن تشرح بيتا شعرياً .. لكنت مارست حقي في انتخابك"

لم يجب .. وأظنه لم يفهم ما قلت..

وضعت الورقة فارغة.. وخرجت..

سمعتهم يتهامسون..

متآمرة على سير عمليات الانتخاب الديمقراطية في بلدتنا.

لا برق يلمع في اسمه

لا برق يلمع في اسمه..

هذا ما قاله محمود درويش في جنازة الشخص الغريب..

كنت جالسة مع أمه ..

أقول لها : (أنا مدرسة اللغة العربية.. يا مدام ابنك لا يدرس بالشكل اللائق والكافي.. أود منكم أن تساعدونا في ضبط الأمور أكثر.. وكله لأجل مستقبل ابنكم)

كانت ترى في ابنها لاعب الوطن المستقبلي..

فهزت رأسها.. وحاولت أن تجد له مبرراً فقالت:

(لعبة الجودو.. أكلت وقته يا آنسة)

ولكني كنت أبحث له عن مستقبل تعليمي أفضل..

أما هو..

يبدو وكأنه لم يرد انتظار ما يسمى بالمستقبل ..

فقد صار في تلك اللحظة رقماً في حصيلة القتلى في خبر عاجل..

لا برق يلمع في اسمه..

ولكن سيارة الدفن .. صدحت باسمه..

لا برقمه.

رمـــــــاد

- ليس لك في هذه الحياة أكثر من نفس.. فعلامَ تصرخ أيها المأفون؟
- فقط أحاول أن أعرف إن كان هناك أحد غيري.. لا أعلم ماذا ستفيدني هذه المعلومة.. هل من أحد هنا!!!؟؟
- سأريحك.. لا أحد هنا إلاك.
- أين البقية؟
- ربما ماتوا فلا تصرخ..
- حسن.. لأفكر ما هو المصير الآن.. أنتظر حتى أتعفن؟ لا .. بل سيصفى دمي.. فإنني أنزف.. لماذا علي أن أموت طالما نجوت؟ .. دوار... غثيان... هذا اللزج أمامي .. إنه دمي .. الثقل فوقي .. آآآخ يدي.....
- صوت طائرة.... اصرخ..

- هيييي .. هيييي .. أنا هناااا تحت ركام القصف.. هيييي
- نفدت آخر قطرة دم منك ..
- لم يسمعوني..
- حتى أنت لم تسمع صوتاً.. ولم تصرخ..

أبيض

فتح عينيه :

"ما كل هذا البياض؟ الأرض .. الجدران.. البدلة التي ألبسها..

أين أنا؟ كيف جئت إلى هنا؟

أتراهم بعد التحقيق ألقوا بي هنا؟

أين السجن الذي حكموا به علي؟؟

أكاد لا أرى شيئاَ ..

بياض في بياض.. في بياض."

يبدأ بفرك عينيه .. يدورهما.. يفتحهما أكثر ما استطاع.. لا شيء سوى الأبيض..

تحسس الأرض والجدران والزوايا.. لا شيء سوى الأبيض..

هدأ في مكانه:

"ماذا يعني هذا ؟ ..

ماذا يعني أن أعيش في هذه الغرفة البيضاء..

لا أرى منطقاً ..

أين أدوات التعذيب على الأقل هه"

همد محدقاً في اللاشيء الأبيض..

ثم فجأة.. سمع صوت الباب يفتح.. نظر ناحيته بلهفة .. فدخل رجل يرتدي الأبيض بالكامل .. حتى وجهه مغطى بخمار أبيض .. معه طبق من الأرز الأبيض.

نظر إلى الأرز وصاح : "أين الفلفل؟"

لكن الرجل رحل وأغلق الباب.

أبعد الطبق عنه وبقي محدقاً ..

"أظنني في يوم ثان.. أو ربما ثالث..

ألا يأتي ليل على هذا البياض..

أكاد أفقد البصر"

وقف وبدأ يصرخ .. ولكن من يجيب..

" لأي أمر أنا هنا.. أتراها المقالة الملعونة؟؟

سألوني لأي تنظيم أنتمي.. لم أكن أنتمي لتنظيم.. أو حزب..

أو ربما كنت.. لم أعد أذكر..

سأغلق عيني علني ألون حلمي."

الأسابيع تتوالى ..

فتح عينيه:

"أبيض من جديد .. لاااا"

يصرخ متهالكاً.

" ماذا تريدووون؟؟ من أنتم؟؟ ماذا فعلت.."

تماهى مع الأرض وهو يموء..

"من أناا؟"

جاء أحدهم وسأله من نافذة الباب الصغيرة: "من أنت؟"

نظر إليه بتعجب ولم يجب

فقال له: يمكنك الخروج..

وفتح له الباب.

ولكنه ظل هامداً محدقا في اللاشيء الأبيض.

رصاصة واحدة

رصاصة واحدة تصنع المعجزات..

رصاصة واحدة لن تقتل الأعداء..

ولكن رصاصة واحدة تقتل الخوف داخلي..

رصاصة واحدة تنهي كل هذا .. على الأقل بالنسبة لي..

دم وأشلاء وضحايا.. لسنا سوى ضحايا برتبة شهيد..

لا أريد هذه الرتبة..

أريد أن ينتهي كل هذا..

بدأ صوته يعلو.. رصاصة واحدة تنهي الحصار والقصف في عيني..

رصاصة واحدة تنهي رعب الأسر..

رصاصة واحدة تنهي حياة المسخ..

يصرخ رصاصة واحدة .. قبل أن يأتوا ..

رصاصة واحدة... رصاصة واحدة..

يصرخ بأعلى صوته.. ويتجه نحو الباب .. ولكن الممرضين دخلوا مسرعين .. حاول الإفلات منهم .. أريد رصاصة.. رصاصة واحدة..

ولكنهم استطاعوا تثبيته وحقنه بمادة مهدئة فسرعان ما أغمض عينيه وهو يقول:

رصاصة واحدة..

لم يحلم بشيء..

ولكنه فتح عينيه شيئاً فشيئاً ..

لم يدر أين هو .. ولكنه قال:

رصاصة واحدة تصنع المعجزات..

ها قد دخلوا -١-

لم يعد هناك مجال لأية لحظة انتظار..

حمل صغيره وقال لزوجته: "هيا.. ضعي جلباباً عليك بسرعة واحملي الرضيع أنت.. هيا"

فقالت: "أرجوك دعني أحضر بعضاً من حاجياتنا"

- أي حاجيات هذه يا امرأة.. ألا تسمعين القصف؟ نريد أن ننفد الآن بجلدنا

حملت الرضيع وخرجوا من المنزل..

بعد خطوتين قالت له: "لحظة "

- ماذا دهاك؟"

أخرجت المفتاح من جيبها وقفلت الباب ..

رغم عجلته في محاولة الفرار من هول ما حوله.. لم يستطع إلا أن يتوقف به الزمن..

قالت له بعجلة: "هيا بنا"

ولكنه بقي متسمراً ينظر إلى فقل بيته وكأنه قد فقد إحساسه بالقصف والموت المحدق بالمدينة..

- ما بك يا رجل؟
- لاشيء.. فقط تذكرت أمي رحمها الله..
- الآن؟
- ماتت وهي ما تزال تظن أنها قفلت باب بيتها في الجولان .. وبقيت محتفظة بالمفتاح إلى أن ماتت..

ارتخت أصابعها.. ورمقت المفتاح والقفل ونظرت إلى كل مكان غير زوجها المتهالك..

وسألته: " هل سنعود يوماً؟"

أرادت منه أن يقول نعم.. مهما كان ما يفكر به ..

ولكنه نظر إليها وقال: " أرجو أن ننجوا.. هيا"

تابعا الركض إلى مكان بعيد عن بيتهم ..

إلى حيث يقودهم إرث النزوح.

ها قد دخلو -٢-

التكبيرات على باب المدينة..

وصمت الرعب مخيم فوق أهلها..

بطاقة ما.. تسمى هوية قد تكون سبب قتلهم..

حاولوا عدم الصراخ مع طلقات الرصاص ..

هاقد دخلوا..

بعض أهل المدينة أيقنوا أنها النهاية.. فجلسوا ينتظرون حتفهم..

وبعضهم بدأ يفكر في الهررب ..

وبعضهم يستذكر صور المحرقات والسبي التي مرت في الذاكرة القريبة..

هتفت إحداهن محاولة التفكير بطريقة للنجاة..

هل لدى إحاكن نقاباً؟ علهم يتركوننا.. هل هناك من يبيع نقاباً؟

أجابت أختها بعينين باردتين ..

لا تستعجلي.. ستحصلين عليه بالمجان في سوق نخاستهم.

ها قد دخلوا -٣-

استيقظ على صوت تكبيرات..

لم يكن عيداً.. إذن ماذا هناك؟

أراد أن يشرب قهوته الصباحية.. فوضع الدلة على الغاز ..

ولكن التكبيرات تقترب.. والهاتف يرن.

"عليك الخروج الآن.. لقد وشوا بك يا رئيس البلدية"

هرع إلى النافذة.. فوجد العمامات والأعلام السوداء تتجه نحو بيته..

تسمر في مكانه.. وفي أقل من دقيقة فكر في أن يختبئ في ركن من أركان البيت.. العلية مثلا..

سيدخلون البيت ويبحثون عنه وسيجدونه..

لا.. لا.. فكرة غير صائبة..

إذن عليه الهرب من المنزل ..

ولكن قبلا عليه أن يأخذ اللابتوب معه إذ فيه كل حياته..

يدخل إلى الغرفة.. يأخذ اللابتوب فيجدهم قد وصلوا..

"لا لا أحتاج فكرة أسرع.. وأكثر أمناً" .. إذ مازال واقفا أمام النافذة متسمراً..

الباب الخلفي.. نعم الباب الخلفي.. سيأخذ اللابتوب ويذهب باتجاه الباب الخلفي.. لكنهم أحاطوا بالمكان..

تباً.. ماذا أفعل..

اجتاحوا البيت.. وهو مازال متسمراً أمام النافذة ..

أمسكوا به..

فقال لهم: لحظة..

ذهب إلى الغاز.. أطفأ النار تحت الماء التي كانت تغلي لإعداد القهوة.. ثم ترك قدميه تجرهما أزمة وطن .. بأيد سوداء.

ليلة حزيرانية مطيرة

قطع التيار الكهربائي، وساد الظلام، ليس بالأمر الجديد، فهو التقنين اليومي. وبضوء الشاحن الذي بات فرداً من أفراد عائلتنا بددت أختي ظلمة الليل، ثم أحضرت كؤوس البيبسي وصحون المكسرات لتطرد ما حضر من سكون، كنت أحب الصمت الذي يطبق عند انقطاع الكهرباء، وأكره الشاحن، ذلك الاختراع الذي أفسد علي متعة الشمعة التي تخترق الظلام بلهب خفيف واهٍ، ولكن لم يبق شيء من جمال الصمت مع مكسرات أختي وأحاديث أمي، وتلاشت المتعة مع الشاحن والواتس أب. ومثل كل مساء، بدأت أصوات إطلاق رصاص يشنف آذاننا، ويلتهم شيئاً من حديثنا، ولكن المختلف في هذا المساء هو أن أصوات الرصاص بدأ يكثر بشكل غير معهود، ومعه تسلل الخوف إلى قلوبنا، وخاصة عندما اقترب الصوت أكثر، بل إنه لم يقترب، إنما بدأ ينطلق من كل حدب وصوب، صاحت بنا أمي: "هيا إلى الممر تعاليا"، لاعتقادها أن الممر هو أكثر الأماكن أمناً في المنزل.

هرعنا إلى الممر بأرجل مرتجفة، ووجوه شاحبة، تتخبطنا أفكار وصور القتل والتهجير.

اشتد الصوت أكثر، فقالت أختي: "لنجلس أفضل"، جلسنا على الأرض، وبدأت أمي تلهج بالدعاء: "يا لطيف الألطاف نجنا مما نخاف"

قالت أختي: "لو نعلم ما الذي حدث على الأقل"

نظرت أمي بخوف إلى السماء وقالت: "إنها الساعة التي يعدوننا بها منذ زمن"

تذكرت مصطلح ساعة الصفر الذي ظهر في هذه الأزمة، والكل يستخدمه، والكل يتوعد بهذه الساعة، ونحن خائفون من رصاص يخترق ظلامنا قبل أضلاعنا، لا ندري لأي ساعة صفر ينتمي هذا الرصاص،

- "أتراهم داعشاً أم الجيش الحر قد جم علينا"

إذن اختي قررت أن ساعة الصفر هذه للطرف المعارض.

قالت أمي: "وما الفرق عندك"

- يقولون إن داعشاً لا تقتل النساء إن التزمن بيوتهن أما الجيش الحر فسيقتلنا

سمعنا كثيراً في هذه الأحداث عن القتل، لذا لم نعد نعلم من يقتل ومن يقنص ومن يقصف ومن يلعن أنفاسنا، والصوت يكثر ويشتد، وأمي تلهج أكثر بالدعاء: "اللهم إني استودعتك ابنتي هن أمتان من إمائك اللهم نجهن من الكرب والبلاء.. استغفرا استغفرا فلا يرد الأقدار إلا الاستغفار"

أمي نسيت نفسها من الدعاء، ألا تريد أن تنجو بنفسها، صوت الرصاص في مدخل بيتنا ينزع من رعبنا صرخة أو صرختين، لا أدري إن كنت قد صرخت أم لا، كيف صرخت؟ كم مرة؟ وهل كان صوت الصراخ مني أم من أختي؟ أم منا؟ ولكن لا أعتقده من أمي التي ضمتنا إليها، "اهدأا فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ولا تحزنا فإن الله معنا ولن يخذلنا" ومضت في التسبيح والدعاء ويرتفع صوتها بالدعاء أكثر كلما اشتد الرصاص، ولا أدري لماذا كان صوت دعائها يخيفني

أكثر بدلا من أن يهدئ من روعي، شعرت بأنها النهاية، نهاية ماذا؟ بل هي البداية.. بداية ما عاناه كل من عرفت.

قالت أمي: "أحمدك اللهم وأشكر فضلك حمداً لله أن أخيكما قد سافر"

قالت أختي: "ليتنا نستطيع السفر أيضاً مثل كل الناس"

السفر برأيها هو الحل، ربما.. تنوعت الأسلحة المستخدمة في المعركة، فالأصوات مختلفة متفاوتة في الشدة والقوة، ولكن ما ميزته من بين الأسلحة هو المسدس، وأظنه للجيش الحر، ولم أكن أود أن أقول ما بداخلي كي لا أخيفهم، غير أن أختي باحت به وأومأت أمي موافقة لها على كلامها، فعلمت أن ظني ليس مجرد ظن، وأن من هجم هو الجيش الحر، فموعدنا قريب مع القصف والحصار والتهجير إن لم نقتل. انهارت نفسي كلياً عند دمعة أمي وهي مازالت تصعد أدعيتها.

سمعت صوت هاتفي يرن في غرفتي، قالت أمي: "لا تذهبي ابقي هنا"

قلت: "بل أريد أن أرى من ربما هناك من يريد أن يطمئن علينا من أقاربنا"

أحسست بثقل في قدمَي، بالكاد استطاعتا حملي، مشيت إلى الغرفة، ولكن صوت الرصاص على النافذة جعل أمي تصرخ: "امشي على ركبتيك أخفضي رأسك" ولا شعورياً مشيت حبواً إلى الهاتف، أمسكته بيدي فوقع مني، فأمسكته بالاثنتين وفتحت الخط ووضعته على أذني، جاءني صوته مباشرة: "حبيبتي لا تخافي إنه احتفال بفوز سيادته في الانتخابات"

صوته وحده يكفي ليدخل الطمأنينة في قلبي، ولكن الخبر الذي زفه إلي أصاب أطرافي بالشلل، بل أظنه دماغي هو الذي أصيب بالشلل وتعطل كلياً، وأحسست باللاشيء،

- وكيف عرفت؟
- الرصاص انطلق في كل مكان أما المسيرة بدأت من قربنا، وبعد قليل ستسمعين صوت الهتافات.
- أي هتافات؟

- ما بالك؟ هتافات المسيرة.

ترددت أنفاسي وتنهدت بشكر له، ولم أشأ أن يغلق السماعة ولكنه فعل، ذهبت إلى أمي التي كانت ترفع يديها عالياً بالدعاء، قلت:

- أمي ربما عليك تغيير الدعاء فالأمر ليس كما ظننا.

- كيف

فأخبرتها النبأ العظيم، إلا أنها لم تصدق، وكيف تصدق؟ حتى أنا لو لم يكن هو الذي أخبرني لما صدقت، إلى أن جاء صوت المسيرة فعلاً، (الما بشارك مافي ناموس) قالت أمي: "يشارك في ماذا" قلت لها: "قلت لك يشارك في المسيرة الاحتفالية"

نظرت بعينين باردتين تملأهما الدهشة، انفلتت من فيها كلمة "حقاً؟" لم أهتم للجواب بل رحت أبحث عن الناموس، فوجدت قليلاً منه عندي، وودت أن أشارك، ولكن شؤبوباً من المطر الحزيراني بلل الناموس، ومنعني من الخروج.

صناعة بلاهة

شكلي الحالي لايشبه صورتي في بطاقة الهوية..

هل هذا سبب كافٍ لإيقافي على حاجز؟ سألت مرآتي قبل أن أخرج.

اكتفت بالضحك، فصفعتها بنظرة بلهاء تشبه صورتي في الهوية.

تدربت على تلك النظرة لعلي أشبهها.

تخطينا الحاجز.

إذن نجحت في تقليد تلك الصورة البلهاء،

حاجز ثان فثالث...، إلى أن وصلت إلى الدائرة الحكومية لقضاء معاملة رسمية. طلبت مني الموظفة الهوية..

تفاجأت وقالت: هل هذه أنت؟

قلت بشكل تلقائي: نعم.

ثم تذكرت تلك النظرة فرسمتها على وجهي..

فابتسمت وكأنها تأكدت أن تلك الصورة هي صورتي أنا.

وقعَتِ المعاملة وأرسلتني إلى موظف آخر..

نظر إلي فرسمت تلك النظرة على وجهي دون أن يطلب الهوية أو يراها.

لا أدري لماذا.

أنهيت المعاملة وعدت إلى البيت..

وتجاوزت الحواجز بنفس الطريقة.

نظرت إلى المرآة وإذ بها تضحك من تلك النظرة البلهاء التي لم تعد تفارقني حتى داخل غرفتي.

خـــوف

شارع دمشقي قديم..

فارغ إلا من عتمة تمتد إليها أيدي أضواء شاحبة.. تستل الخوف المنبعث في الفراغ الذي وجدتني أسير فيه، واللاشيء هدفي.

حاولت أن أستنطق جداراً علّه يؤنس مسيرة الهباء هذه..

ولكنه أبى إلا الانطواء على هلاكه، حتى دون أن يُرجع صدى كلماتي..

هل فعلاً أنا خائفة؟

أم هي وحشة الصمت المخيم كالموت المنتظَر؟

لا أدري..

كل ما أدريه هو أنني أحسست بشبح خلفي..

أي شبح هذا ؟؟

الأشباح لا تسكن حجارة هذه الجدران العتيقة، ولا حجارة الأرض التي تدوسها أقدام الناس صباحاً..

إنه يتبعني.. هناك شخص ما يتبعني..

الخوف يبس ناطري إلى الأمام، فوجدتني لا أستطيع النظر إلى الوراء لأرى من ذلك الشخص الذي يتبعني.

حثثت الخطا.. فحث..

تلك الجدران التي رفضت أن ترد لي صدى كلماتي أجدها الآن تردد ضربات قلبي نشيداً مظلماً..

خطواتي الحثيثة صارت ركضاً.. والخوف يثقل خطواتي.

بقيت أركض هاربة منه، وهو مازال يتبعني..

يكاد نفسي ينقطع..

لهاثي ضجيج..

الخوف من لانهاية المشهد أكبر من خوفي منه..

من هو؟.. لماذا يتبعني؟؟

لماذا يركض ورائي؟؟ لماذا يلحق بي؟؟ ....

ليتني مت قبل هذا ..

كدت أسقط.. أمسكتُني وتابعت الركض..

إلى أن وصلت إلى حارة مغلقة..

وقفت وعلمت أنها النهاية..

أدركني لا محالة.. أدرت وجهي له ببطء.. ودمعة أعلنت استسلامي .. امتدت عيناي إليه في يأس..

فوجدته تحت قدمي يستلقي ويتطاول على الأرض.. أسود..

لم يفعل شيئاً، سوى أنه أطال النظر إلي.

تكورت عند الجدار معلنة نهاية لاشيء.

طحالب

تأمل الدرج الحجري.. والطحالب الخضراء ذات عودة بعد غياب طويل..

مازالت كما هي ..

والسور المتهالك مازال واقفاً يلعب مع ظله الغميضة.

تذكر كم كان يعتلي السور.. ثم يقفز من حافته العالية إلى الأرض ..

أخذته نشوة احتضان الهواء مع القفز..

فوضع حقيبة السفر جانباً وصعد إلى حافة السور ..

"هل كنت أشعر بالدوار قبلاً .. لا أذكر .. لا أظن .."

كم هي المسافة بعيدة ..

لم يقفز .. إنما سقط أرضاً..

فلعن الطحالب الضاحكة.

غبش

دخل الحمام..

رمق المرآة بنظرة سريعة..

فلمح الشيب يغزو ذقنه..

ثم فتح صنبور الماء الساخن بتثاقل..

سرح قليلاً قبل أن يعود إلى المرآة.. ليتفقد الشيب..

فوجد صورته مغبشة ..

بدأ بفرك عينيه ..

ولكن غبش الصورة ازداد ..

تسارعت نبضات قلبه..

ماذا يفعل؟

اختفت الصورة تماماً..

فصرخ: أين أنا!!!؟؟؟

وتهالك في الماء الساخن

الشرخ

قطرة ماء على جبينها، أيقظتها من النوم، ولكن ليس من السبات.

"من أين قطرة الماء على وجهي؟"

حدقت في السقف، فوجدته يرشح

"كلنا نرشح قطرات"

نقطة أخرى.. وأخرى.. وأخرى.

تبحث بعينيها عن الشق في السقف، وهي مازالت مستلقية، والقطرات تتوالى برتم بطيء.

أمعنت النظر..

"لا شيء.. لا يوجد شقوق..

إذن هذه القطرات ليست حقيقية"

فأغمضت عينيها علّها تعود إلى النوم.

عندها تفتحت كل الشقوق..

أربعون شقاً في ذلك السقف المهترئ.

"ولكنه رشح بسيط"

اعتدلت في جلستها، وتناولت المرآة عن الطاولة بجانبها، كانت الطحالب تغطي وجهها وبعضاً من خدها الأيسر.

" كم لبثتُ؟" سألت المرآة.. فأجابتها:

"أربعون شرخاً".

غرّبت

من بين الركاب المكبوسين في سيرفيس متهالك صاحت امرأة عجوز بعسكري أخذ الهويات على الحاجز:

" غربت.. غربت .. بلا التفتيش"

ولأمر غير معتاد ابتسم العسكري وناول الشوفير الهويات دون تفييش.

وقف السيرفيس على حاجز ثان..

صاحت المرأة : "غربت .. غربت"

ابتسم العسكري وقال: "يا خالة مازالت عصراً .."

أجابت وكأنها لم تسمع: "غربت.. غربت.. بلا التفييش"

الكل يبتسم في ذلك السيرفيس الهرم..

والكل صار يصيح "غربت.. غربت"

وعند الوصول إلى آخر نقطة للسيرفيس نزل الجميع وهم يضحكون ويقولون غربت غربت..

كلٌ إلى بيته ..

إلا تلك المرأة العجوز.. ذهبت إلى المقبرة .. فقصدت قبراً..

كتب على الشاهدة اسمها..

جثت عنده .. وتنهدت وقالت: "غربت"

ثم وضعت رأسها على القبر مغمضة عينيها.. متناسية غروب الشمس.. متماهية مع الحجارة.

بعض الظن إثم

ظن أنه صحفي مهم .. عبر عن رأيه بشفافية في لقاء تلفزيوني..

فقال كلمة لا يجب أن تقال.. هكذا يظن..

لم يدر ما الشعور الذي انتابه بعد اللقاء ..

أتراه خائف.. أم نادم .. ربما الإثنان ..

كان عليه أن يمسك لسانه..

"ماذا سيفعلون بي الآن.."

ظن أنهم سيرسلون له من يقتله .. أو يضربه على الأقل..

"عندها سأكون خبراً عاجلاً على الشاشات الفضائية .."

ظن أنه سيكون شهيد الكلمة الحرة..

ظن أن رجالهم يترصدونه في كل مكان..

"من هم؟؟

المعنيون بكلامي لن....."

سيارة قمامة فقدت فراملها.. قذفته بعيداً عن أفكاره وعن حياة الظن التي كان يعيشها.

خبـــــــر

وقف القرار شهوراً..

هل من منتظر إلاك..؟؟

بالطبع لا.

بعد عناء يأتيك الجواب بورقة ناقصة تذكر تماما أنك قد أرفقتها

تحاول المراوغة بورقتك..

ولكن.. هيهات..

الموظف لك بالمرصاد.

لم تعجبني ورقتك هذه.. أريد أخرى..

تبالغ.. ؟؟ لا ..

لا يا عزيزي..

في مثل كل يوم.. حدث في دمشق.

العنكبوت

أحب أن أطيل النظر من النافذة..

ولكن وحدي دون شركاء متطفلين مثل هذا العنكبوت الذي جاء ليستوطن زاوية النافذة..

لم أستطع تجاهله.. أو أن أشيح نظري عنه..

نسيت ما كنت أفكر به..

تباً لحشرة صغيرة تشتت أفكاري ..

بدأ ببناء بيته.. بل بنسيج بيته خيطاً إثر خيط..

كان منهكا في هندسته..

ألا يلاحظ أنني أنظر إليه؟ ..

أتراه يرى أن زاوية نافذتي صارت من ممتلكاته..

أم تراه يحاول كسب صداقة ما بيننا ؟

لا لا أظن ذلك.. إنه يتجاهلني كلياً ويحاول إنهاء بيته بإحكام..

يالك من غبي..

كم تعبت لأجل شيء واهٍ..

وعندما انتهى وتربع في وسطه..

كقذيفة غير طائشة قضيت عليه وعلى بيته بحذائي..

إذ كان عليه أن يعلم أنني لا أحب الشركاء.

صبـاحـات

في تلك اللحظة الصباحية كان من المفترض أن يمر أمامه شريط حياته ..

ولكنه لم يتذكر سوى شيئ واحد..

وهو المداهمة الصباحية التي كانت تشنها والدته..

لم يكن يدري ما الذي يدفع أمه للاستيقاظ صباحاً مفزوعة خائفة من تأخره على الوظيفة وكأن عقوبة ما ستلحق بها إن تأخر..

وتبدأ بالصراخ: هيااا .. لقد تأخرت..

يتعمد عدم الإجابة متشبثاً ببقايا الحلم الذي بدأ يتبدد..

عويل الرياح يدفعه للتقوقع أكثر فأكثر تحت الأغطية المكومة فوقه ..

ولكن هيهات.. المداهمة الصباحية له بالمرصاد..

- هيااا استيقظ.. لقد تأخرت يا فتى..

غالباً ما يرافق هذه الكلمات عملية كشف الأغطية لتجعلك وجهاً لوجه مع الصباح الشتوي البارد..

فتلعن الشتاء والوظيفة .. وتلعن حياتك .. وتتمنى لو تطويك برودة أبدية في غيابات الهباء فلا تستيقظ.

- "ولكن..

لماذا.. لماذا لا أذكر من حياتي سوى هذا المشهد الآن؟؟

من بين كل الذكريات والخطايا.. يزاحمني صوت أمي توقظني في الصباح"

حدق في اللاشيء ولفظ روحه وحيداً على فراش غربة باردة بعيدة عن صوت أمه.

تحت فناء الشمس

دخلت أمه إلى غرفته صباحا وهو نائم..

رفعت الستارة المجاورة لسريره.. وقالت له:

- إنه يوم مشمس .. فعندما تستيقظ افتح النافذة على مصراعيها ودع الهواء يدخل الغرفة.. فرائحتها عفنة ..

وخرجت..

لا بد لأمي أن تلقي كلمة عفن كلما مرت بغرفتي..

فتح نصف عين على الشمس المنبعثة من النافذة..

نصف عين جعلت من رؤيته كاميرا قريبة جداً من ذرات سائحة في مساحة الضوء..

" ذرات بسيطة في الفناء.. ماذا عساها تفعل؟؟

أتراها تدرك هذا الفضاء؟؟..

حركتها تبدو منتظمة.. ولكنها عشوائية..

وجودها عشوائي..

حقاً؟؟

ماذا لو كان وجودها منظماً..؟

ماذا لو كانت شيئاً حقيقياً؟.."

فتح عينيه وجلس في سريره يراقب حركة الغبار الصغير المتطاير في ضوء الشمس..

حاول الإمساك بواحدة .. ولكنه لم يفلح..

"ماذا عساها تظن نفسها؟؟ ماذا تفعل؟؟"

يحاول الإمساك .. لا فائدة..

وماذا أفعل أنا؟؟

نظر من النافذة.. فوجد الكثير من البشر يسبحون في الفناء..

"ماذا عساهم يفعلون؟؟ ترى.. هل هناك من يحاول الإمساك بنا؟

نادته أمه من الداخل: هل استيقظت؟ .. لا تنسى أن تفتح النافذة.. كي تطرد رائحة العفن من غرفتك.

حك رأسه وأغمض عينيه وعاد إلى النوم.

كاد أن

صعد مفتش التذاكر إلى الباص..

بدأت أبحث عن تذكرتي، إلا أنني لم أجدها.

وقف أمامي منتظراً وأنا أبحث..

ربما مزقتها أو رميتها .. لا أذكر..

إنها هنا في مكان ما من الحقيبة..

لو قلت له أن يسأل السائق هل سيصدق أنني قطعت تذكرة؟

وهل سيذكرني السائق؟

لقد ناولته خمسين ليرة جديدة، وكنت أود أن أقول له انظر كم هي جديدة ليس لها أخت، ولكنني لم أقل.

هل أسأل من بجانبي؟ ..إذ كانت التذكرة بيدي عندما جلس، وكنت أود أن أقول له إن رائحته كريهة فليجلس في أي مكان آخر، إلا أنني لم أقل.

لو أنني نزلت في الموقف السابق لكان الوضع أفضل..

كنت أود أن أنزل ولكني لم أفعل ..

مازال واقفاً ينظر إلي باستغراب، يبدو أنه يود أن يقول شيئاً ولكنه لم يقل.

كنت سأقول له أن يأخذ غرامة كما يشاء ولكن بصوت منخفض دون أن تكون فضيحة في الباص، فلربما هناك من يعرفني، وحتى من لا يعرفني لا أريد أن ...

وجدتها.. وجدتها.. وجدت التذكرة ناولتها للمفتش الذي استغرق بعض الوقت وهو ينظر إلي وكأنه كاد أن يقول شيئاً، ثم قال: "عفواً"

ومضى دون أن يأخذ التذاكر.

محاولة متكررة

لم تكن المحاولة الأولى..

بل ربما كانت العاشرة أو أكثر..

وكانت تعلم أن النهاية ذاتها ستتكرر..

أمسكت هاتفها المحمول .. وفتحت أيقونة الرسائل.

انتظرت قليلاً عندما رأت اسمه..

أغمضت عينيها.. وأرادت المسح..

ثم فكرت أن تلقي نظرة وداع على تلك الرسائل..

فبدأت تقرأ..

الأولى.. الثانية.. الثالثة...

دمعة واحدة كانت كفيلة بجعلها تغلق الهاتف دون أن تمسح الرسائل..

ومثل كل يوم .. نامت وهي تعد نفسها بغدٍ.. تمسحه فيه من المحمول .. والذاكرة.

رومنس مفخخ

لم تكن تعلم أن حزيران موسيقى جاز .. قد يعصف بها بهدوئه..

فوقفت بثياب صيفية شبه مبللة عند موقف الباص..

بحثت عن شيء تحتمي به من زخات المطر التي ستصبح وابلاً بعد قليل حسب تقديراتها..

وإذ بها تجد مظلة فوق رأسها..

يحملها شاب ثبت عينيه تجاه نظراتها المصدومة..

أمسك يدها دون أن يشيح نظره عن عينيها وأعطاها المظلة..

ومضى بسرعة كأنه لم يكن ..

وهي مازالت في غفلة من أمرها .. مندهشة مشوشة..

"ما الذي حدث للتو؟ "

أغمضت عينيها قليلاً .. ثم فتحتهما ونظرت إلى المظلة..

جاء الباص..

تركت المظلة وصعدت ..تبعها أحدهم وقال: يا آنسة: مظلتك؟"

قالت: "لا.."

أرادت أن تكمل: "قد تكون مفخخة.. لا أدري كيف ولكن ربما"

ولكنها آثرت الصمت.

حدود الطاولة

طاولة فخمة في مطعم راقٍ ..

يحدها من الشمال أيدٍ تشير لأحاديث الجمال ..

من الشرق أحاديث أنوثة.

من الغرب أحاديث رجولة.

ومن الجنوب.. تحت الطاولة.. تلامست أحذيتهما ..

فأمسك بحذائها.. بكلتا قدميه.

وبحركة خفيفة منها خلعت الحذاء..

ورحلت ..

ظنت نفسها ساندريلا..

ولكنه اكتفى بملمس حذاء نسائي لمدة دقائق.

أريكة وشاشة

ذات حلم .. كان يحتضنها كوطن على أريكة وحيدة في غرفتها الصغيرة أمام شاشة كبيرة يشاهدان معاً فيلماً..

ثم غفت على صدره..

معلنة استسلامها للذة النوم بين ذراعيه..

فتحت عينيها على وحدة عفنة في سريرها البارد..

ولكنها استيقظت بنشاط على غير العادة..

وقررت مشروعها المقبل..

أريكة وشاشة وانتظار..

استبدلت سريرها بأريكة تشبه إلى حد كبير تلك التي في الحلم..

وتبقى لها اقتناء الشاشة..

بدأت تدخر ما تيسر من مرتبها وتستغني عما هو ليس ضرورياً من الألبسة، ومستحضرات التجميل، وبعض الأطعمة الغالية..

كلها حذفتها من قائمة المشتريات..

ماعدا شال أزرق أحست أنه سيضفي نوعاً من الصفاء على ذلك المشهد الرومنسي الموعود..

ولكنها سرعان ما ندمت على شراء الشال ..

إذ ذهبت إلى مركز بيع الشاشات وسألت عن ثمنها ..

كانت تعلم أنها لم تجمع المبلغ المطلوب بعد.. ولكن لم تتوقع أن الأمر بهذه الصعوبة..

"ماذا سيفعل ثمن شال.. فما زال الكثير" عزت نفسها..

إلى أن استطاعت جمع المبلغ أخيراً.. فأحضرت الشاشة وعلقتها على الحائط مقابل الأريكة كما الحلم بالضبط..

لايهم ما يمكن أن يكون الفيلم.. المهم ..

ليته يأتي..

جلست على الأريكة وأسدلت الشال الأزرق على كتفيها ..

وبدأ عداد الوقت..

انتظرت كثيراً.. رفعت قدميها .. واستلقت على الأريكة..

صفر عداد الوقت.. وهي تنتظر مستلقية دون حراك.

لا شيء يستحق العناء

صعدت الباص من الباب الخلفي .. لم يكن مزدحما كعادته ولكن لا مكان للجلوس. لذلك كان عليها أن تبقى واقفة ..

أخرجت مافي جيبها من عملة حديدية .. وأرادت أن تدفع للسائق..

غير أنها أحست بأن المسافة بعيدة إلى مقدمة الباص..

فنظرت حولها لتجد شاباً يقف بجانبها .. ذبلت عيناها وأرخت سحائب الدلال على جفنيها.. وقالت له: "ممكن لو سمحت"

وناولته القطع النقدية..

أخذها الشاب وذهب إلى مقدمة الباص وناول السائق الأجرة وعاد لها بالكرت.

- لابد أنه عاد من أجلي..

تشكرته بابتسامة مبالغ فيها.. ورمت الكرت في الحقيبة وبدأت عمليات المد والجزر..

مال الباص فمالت على الشاب .. وعيناها متسمرتان في الذبول مع ابتسامة خفيفة..

أخرجت مروحة يد لتحرك الهواء حولها.. لعل ذرات عطر منها تزهر على جفنيه..

نظرة خاطفة نحو عينيه..

نظرات متأملة صدره ويديه..

طلبت منه فتح النافذة المقابلة له.. ففعل.. وشكرته بابتسامة دلال..

ولكن..

كل محاولات الأنوثة قضت نحبها أمام عينيه اليابستين بنصف انفتاحة .. وبصوت محشرج طلب من السائق أن ينزله.

تبدد الدلال على وجهها.. تجهمت وأربدت ..

ثم مزقت المروحة في يدها ورمتها من النافذة التي فتحها وأغلقتها بقوة..

وأنا جالسة على الكرسي بزاوية تسمح لي برؤية تلك اللحظة العاصفة..

وأتساءل.. هل كان يستحق كل هذا العناء؟؟

انتظرها

بكوب الشراب المرصّع باللّازورد.. انتظرها..

كانت تسمع القصيدة ارتواءً.. تتنفس صمته بين جملة شعريّة وأخرى..

"سينتظرني بالتأكيد.. زينتي تستحق الانتظار"

بدأت محاولات اختيار الفستان "الأسود.. أم الوردي.. لا.. الأحمر.. تضعه على جسدها .. يالإثارة الأحمر.. لا .. لا بل هو الأزرق .. الذي يناسب ذوق الأمير الرّفيع البديع"

ارتدت الفستان .. وأطالت تمايزها للأزرق الشّفاف من الأكمام وأعلى الصّدر.. إلى أن همست المرآة .. "موعدك ليس معي"

ولكنّها أرادت أن تتأكد أنّها كالحديقة في أوج زينتها .. وأنّ ساقيها غيمة .. غيمة.. عندما رفعت الثّوب..

لم تترك المرآة إلّا عندما قال درويش: (ولا تتطلّع إلى توأمي حجل نائمين على صدرها.. وانتظرها).

"ينتظرني.. وأنا بانتظار الماء قبل النّبيذ.. وأحاديث النّاي التي سيلقيها إلى قلبي المرتجف كوترٍ خائفٍ في الكمان.. ههه أرجو ألّا أرتبك كثيراً.. كل ما أريده هو أن أكون أميرته...

القمر الغارق بالحليب.. خاتم الليل الملمع.. موته المشتهى"

أغمضت عينيها وعضّت على شفتيها..

" هذا هو المشهد المثالي لأصبح امرأة.. لطالما حلمت بتفاصيل هذه الليلة معه.. إن كان ينتظرني.. فأنا لن أنتظر أكثر.."

حملت كل أناقتها وعطر البنفسج.. ووقفت على بابه.. فتح بسرعة وأمسكها من ذراعها وأدخلها.. وأغلق الباب..

بحثت عن عينيه فوجدتهما يفتكان بتوأمي حجلٍ نائمين على صدرها..

اقترب أكثر.. ضجيج أنفاسه شوش صورة القمر والحليب والليل في مخيلتها.. التهم شفتيها عند الباب الموصد.

رجفت .. ارتعدت.. دفعته عنها ولكن..

على السرير عارية تبكي حطامها.. تلف خيبتها بغطاء مدمّى وجعاً..

بينما جلس هو على الكرسي، يستر بعضاً من عريه.. أخرج سيجارة وأشعلها.. وقال مبتسماً: "كنت عذراء حقاً!! .. " زرّ عينيه وسط الدخان : "ما بك لماذا تبكين؟ ألم تأت بإرادتك؟

قالت "بلى"

قال: "إذن ما بك ؟ لماذا كل هذا النّكد؟ هي الأنثى الشرقيّة كذلك، تتحرق لمثل هذه اللّحظة وتأتي حاملة كل مفاتنها وشهوتها ثم تبكي غشاء بكارة بحجّة الشّرف.. ليتني أفهم منطقكن"

قالت له: "لا شيء ياحبيبي.. كلّ ما في الأمر هو خطأ عام في بعض كلمات القصيدة .. فلم يأخذني برفق إلى موته الذي لم يكن مشتهى.. هذا كلّ ما في الأمر"

نظر بخيبة بلهاء وقال: "أيّ قصيدة؟"

خـذلان

ساعات يومي يأكلها الانتظار..

الهاتف المحمول لا يفارق يدي .. أقول.. عله يخلق لي نبضة قلب

.

بعد صراع يطول مع تكات الساعة الشتوية.. يهتف المحمول بكلمة منه .. أردها.. فينسى .. وأعود للانتظار..

ذاكرة سحيقة تنكزني..

ذات عصر جاء أبي ومعه مجلة ماجد..

أجزم أن عيني تلألأت فرحة رغم أنني لم أرها..

أمسكت المجلة ونسيت أن آكل يومها.

في غضون ساعات قليلة كنت قد أنهيت المجلة بالكامل.. وأوجدت (فضولي) تلك الشخصية المختبئة في طيات القصص.

طلبت من أبي أن يحضر لي أعداداً أخرى سابقة أو لاحقة.. وصرت أنتظر كل عصر ليأتي أبي ..

أفتح الباب وعيني مركزة على يديه.. ولكنها خالية..

انتظرته كثيراً.. وكل يوم أذكره كي لا ينسى.. ولكنه ينسى.

صارت ساعات يومي يأكلها الانتظار..

أنتظر منه تلك الصفحات القليلة .. عله يخلق لي نبضة قلب..

في كل عصر الخذلان ذاته كل يوم أجدد أمنيتي بأن يحضرها.. ولكن لا أكنية تتحقق..

لماذا أحضرها لي أول مرة؟

لماذا رسم فرحة عن غير قصد؟

هل من الصعب أن يتذكر ابنته؟ أن يتذكر أمراً أفرحها؟

هل حقا نسي؟

لا يهم.. لا شيء يهم.. الخذلان يدفعني إلى الانطوائية ..

لم أعد أريدها.. تلك المجلة .. كانت أمراً جميلاً وانتهى.

يدخل أبي وبيده المجلة .. أذكر أنني أخذتها منه وابتسمت..

لم أبحث عن (فضولي) .. إذ تعفنت في الفناء دون أن أفتحها.

حلـــم

واحد إثنان ثلاثة.. أترى كم هي سهلة..

مجرد ثلاث عدات.. وينتهي كل شيء.

"ياولد .. قم واجلب لنا الخبز"

فتح عينيه على صوت والده..

"لقد كان حلماً.. أففف لا شيء أسوأ من يوم مغبر.. لا شيء أسوأ من أيامي كلها على أية حال"

حك رأسه ونهض إلى حياته مجدداً ..

ارتدى بنطاله اليومي المعلق حلف الباب بمسمار أكله الصدأ.. والقميص بجانبه..وانتعل شحاطته المقطوعة وذهب ليجلب الخبز.

الرحلة طويلة.. ليس من البيت إلى الفرن.. وإنما من باب الفرن إلى نافذة البيع..

أوتوماتيكية هي الخطوات البطيئة بين الجموع في الطابور ..

عيناه جاحظتان في اللاشيء..

واحد إثنان ثلاثة.. أترى كم هي سهلة..

"كم ربطة؟" صاح أحدهم من النافذة..

انتفض وقال: "بمئة ليرة"

أخذ الخبز احتضاناً وخرج من بين الجموع غير مكترث لمزق جديدة في القميص البالي ..

"لا.. ما الذي أتى بها إلى هنا ؟"

كانت جالسة بسيارة والدها.. ترد شيئاً من شعرها الأشقر خلف أذنها ..

نزل والدها من السيارة فوجده متسمراً أمام الفرن فقال له: أيها الفتى.. أريد ربطة بعد إذنك..

دقات قلبه المتسارعة لعثمت لسانه: "ياعم هذا الخبز لي"

فأجابه سأعطيك ضعف سعرها.. زلم ينتظر الإجابة .. فأخرج من جيبه النقود وناوله إياها وأخذ الخبز ومضى..

كان متصلباً دون حراك ..

فكر في مزق ثيابه التي لابد أنها رأتها.. فكر ف ثمن الخبز.. فكر في سيارة والدها..

فكر أنه عليه أن يعود إلى الطابور الطويل .. ومن ثم يتجه إلى طابور الغاز.. وربما ستكون مع والدها هناك..

واحد إثنان ثلاثة.. أترى كم هي سهلة.. مجرد ثلاث عرات وينتهي كل شيء..

على سطح بناء من أربعة طوابق وقف يقدم إحدى قدميه إلى الهواء .. زذراعيه ممددتين في الفضاء..

يعد واحد إثنان ثلاثة.. سهلة.. سينتهي بعدها كل شيء..

لحظة.. ما الذي تريده أن ينتهي بالضبط.. ؟؟

حب بسيط بائس لم يبدأ بسبب قميص ممزق وسيارة.. أم طابور طويل..

"كل ما أريده هو أن ينتهي التفكير الذي ينهش رأسي في أيام تجتر بؤسها.."

واحد إثنان ثلاثة.

الفهرس

الإهـداء ٥
مقدمتي..... ٧
مفاهيم..... ٩
رجل الثلج ١٠
حقيبة ثقيلة..... ١١
منظمة إنسانية..... ١٢
مواطن ١٣
دفتر الخدمة..... ١٤
بث مباشر من أورشليم ١٦
أنيـن ١٨
برنامج انتخابي..... ١٩
فلاش باك..... ٢١
لا برق يلمع في اسمه ٢٣

رمـــاد ٢٥
أبيض ٢٧
رصاصة واحدة ٣٠
ها قد دخلوا -١- ٣٢
ها قد دخلو -٢- ٣٤
ها قد دخلوا -٣- ٣٥
ليلة حزيرانية مطيرة ٣٧
صناعة بلاهة ٤٣
خـوف ٤٥
طحالب ٤٨
غبش ٤٩
الشرخ ٥٠
غرّبت ٥٢
بعض الظن إثم ٥٤
خبـــر ٥٥
العنكبوت ٥٦

صباحـات.....٥٨
تحت فناء الشمس ٦٠
كاد أن ٦٢
محاولة متكررة.....٦٤
رومنس مفخخ ٦٥
حدود الطاولة.....٦٧
أريكة وشاشة ٦٨
لا شيء يستحق العناء.....٧٠
انتظرها.....٧٣
خـذلان.....٧٦
حلـم ٧٨
الفهرس ٨١

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.